أحوال اشور السياسية قبل العصر السرجونى

الباحثة/ زينب أحمد علي إبراهيم

الملخص:

يرجع قيام دولة الآشوريين إلى بداية الألف الثالث قبل الميلاد، وكانوا ينتمون إلى أصل سامٍ، هاجروا من الجزيرة العربية وسكنوا شمال العراق، وعرفوا بهذا الاسم نسبة إلى إلههم آشور، أو إلى عاصمتهم مدينة آشور الواقعة عند نهر دجلة، ويتميز موقعها بتوسطها بين سومر وأكد من ناحية الجنوب، وكردستان وأرض الجزيرة من ناحية الشمال ، وتأسست تلك المدينة فوق ربوة صخرية تحف بها مياه دجلة، وعلى أنقاضها تقوم قلعة الشرقاط الحالية، وهي الواقعة على مسافة ١١٠ كم من الموصل.

يتميز موقع بلاد آشور بطبيعته الجبلية المنحصر بين رقعة خصبة من الوديان والأنهار، والتي تتسم بكونها أرض صالحة للزراعة ومن أشهر السهول: سهلي أربيل، وكركوك، وكان لوجود الجبال من ناحية الشمال والشرق أثرًا فعالاً في كونها حدود طبيعية تمتد حتى الخليج العربي. وهى تتميز في ذلك عن حدودها السياسية الجنوبية والغربية الخالية من أية مرتفعات تحميها.

ورد اسم الآشوريين وعاصمتهم آشور في المصادر القديمة. ففي بعض النصوص الآرامية ورد بلفظة "أثور" و "أفور"، وكانت صياغة لفظة آشور عند السومايين على هيئه "اَ – اوسار" (A – usar)، ولكن الكتابة المألوفة لها كانت آشور (A – shur)، يتبعها العلامة المسمارية الدالة على الأمكنة "كي Ki"، بينما وردت صيغتها في النصوص الأكادية المكتشفة في مدينة "نوزي" بلفظة "كاسر Casur"، ومع مرور الوقت تحرف الاسم إلى آشور، وللتعبير عن بلاد آشور أو القطر الآشوري كانت تسبق تلك اللفظة بالعلامة المسمارية الدالة "مات Mat"، فتعرف بذلك بلاد آشور بتعبير (مات أشوركي) ، وأطلق أيضًا على بلاد آشور اسم سوبارتو أو شوبارتو نسبة إلى القوم الذين استوطنوا هذا الجزء من شمال بلاد النهرين، وذلك منذ أقدم العصور التاريخية، وذلك قبل مجيء الآشوريين الساميين أنفسهم. والمرجح أن الآشوريين قضوا على جماعات من أولئك السوباريين ، وأزاحوا جماعات أخرى منهم إلى سفوح الجبال والمناطق الجبلية المجاورة، ولكن الأشوريين تحاشوا إطلاق اسم سبارتو على بلادهم وعلى أنفسهم، ويتجلى ذلك في الملك البابلي "مردوخ بلادان" يسمي خصمه الملك الآشوري سرجون الثاني إلا بملك السوباريين .

قامت آشور على أساس حربي عرف أهلها كيفية حماية حدودهم، فكانت كفيلة بردع التهديدات الخارجية، وفي الوقت ذاته برع الآشوريين كغيرهم من العراقيين القدامى في التجارة التي دون شك قد وثقت صلاتهم بالشعوب الأخرى المجاورة فازدادوا بهذا قوة وثراء.

The establishment of the state of the Assyrians dates back to the beginning of the third millennium BC, and they belonged to a sublime origin. They migrated from the Arabian Peninsula and inhabited northern Iraq. To the south, and Kurdistan and the land of the island from the north, and that city was established over a rocky hill surrounded by the waters of the Tigris, and on its ruins the current al-Sharqat castle, which is located at a distance of 110 km from Mosul, Assyria was established on a war basis, whose people knew how to protect their borders, so it was capable of deterring external threats, and at the same time the Assyrians excelled, like other ancient Iraqis, in trade that undoubtedly strengthened their ties with other neighboring peoples, thus increasing their strength and wealth.

اولا : الحياه السياسية بآشور بعصريها القديم والوسيط

تنقسم آشور عبر تاريخها القديم إلى ثلاثة عصور متميزة ومتتالية، تبدأ بالعصر الآشوري القديم (ما قبل عام ٢٠٠٠ق.م) ثم العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠-٩١١ق.م)، وأخيرًا العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق.م)، وينقسم هذا العصر الأخير إلى مرحلتين: هما الإمبراطورية الآشورية الأولى التي تمتد فيما بين عامي (٩١١-٧٤٥ق.م)، والإمبراطورية الآشورية الثانية وهي بين عامي (٧٤٥-٦١٢ق.م) [١].

١. **العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠ - ١٥٠٠ق.م)**

يبدأ هذا العصر مع ظهور الآشوريين على مسرح الأحداث في النصف الأول من الألف الثاني ق.م وذلك حوالي عام ١٨٥٠ق.م تقريبا[٢]، ولا نعرف بالضبط تسلسل الملوك

الذين حكموا في هذا العهد، على الرغم من وجود رقيم طيني يعود إلى القرن الثامن عشر ق.م يذكر أسماء بعض الملوك الآشوريين. ولعل أقدم هؤلاء الملوك الآشوريين الذين وردت أسماؤهم في هذا الرقيم هم الملك "سوليلي"، والملك "كيكيا"، ثم الملك "بوزور آشور الأول" [٣].

عاصرت آشور خلال هذه الفترة القديمة أواخر عصر الأسرات السومرية(٤٥٠٠ – ١٩٠٠ ق.م) ، و يعرف بدويلات المدن رغم محاولات هؤلاء الآشوريين آنذاك بناء كيان سياسي موحد مستقل. وقد اهتم الآشوريين في هذه الفترة بالتجارة اهتمامًا كبيرًا ظهر ذلك خلال المستوطنات التجارية التي أقاموها بالقرن التاسع عشر تقريبا أي عام ١٩٠٠ق.م. وتؤيد بعض النصوص المكتشفة في "كول تبة" في الأناضول، أن هذه المستوطنات الآشورية كانت تقوم بدور الوسيط بين شمال العراق وبلاد الأناضول، وأقدم ذكر لتلك المستوطنات تعود إلى عهد الملك "إيريشيم الأول" بالقرن التاسع عشر قبل الميلاد [٤]، وتلقب أمراؤهم آنذاك بلقب (كاهن أشور)، وقد خضع الآشوريون في هذه الفترة من تاريخهم السحيق للسيطرة الأكادية، وحاولوا كغيرهم من الأمراء التابعين للأكاديين انتهاز أية فرصة ضعف مرت بها الإمبراطورية الأكادية لكي يعلنوا انفصالهم عنها [٥]، لكنهم لم يستمتعوا كثيرا بسقوط دولة الأكاديين؛ إذ خضعوا لحكم دولة أور السومرية الجديدة (٢٠٤٨–٢٠٣٠ق.م) التي بسقوطها تمكن الآشوريون من الانفصال لدولة مستقلة أسسها الملك الآشوري "بزر آشور الأول"، ويسمى عصرها اصطلاحا باسم العصر الآشوري القديم [٦].

عاصرت هذه الأسرة في بدايتها عصر دولتي إيسين ولارسا، ويذكر أن الملك "بزر" أعاد بناء آشور وشيد تحصينات للمحافظة على استقلالهم، ومن ملوك هذه الفترة أيضًا الملك "شا لم أخوم" ابن الملك "بزر أشور الأول" الذي استهلك كل وقته للحفاظ على ما تركه والده، ويوجد نص من عهده يشير إلى طلب الإله آشور منه بأن يبني له معبدًا من أجل حماية حياته وعاصمته وذلك فيما نصه **"من أجل حياته ومن أجل مدينته."** [٧].

تولى الحكم الملك "إيلوشوما" (١٨٥٥–١٨٢٥ق.م) الذي عاصر مؤسس سلالة بابل الأولى وملكها المدعو "سومولا ايلا" (١٨١٦ –١٧١٨ ق.م)، وقد اصطدم معه عسكريًا، وكان أول ملك آشوري يتدخل في الشؤون البابلية [٨]. ولم يصلنا حول مجرى أحداث هذا الصدام ونتائجه أي خبر سوى أن سلالة آشور الأولى استمرت في حكم آشور والذي يعد دليلاً على أن الملك الآشوري قد انتصر في هذه الحرب، ونجح في فرض الأمن والأمان في دولته [٩]، وتوسع في نطاق حكمه من خلال فرض نفوذه على بعض المدن: مثل مدينة الدير، وأور ونفر [١٠]، وصارت

الدولة الآشورية في عهده أقوى وأوسع من ذي قبل؛ حيث امتد نفوذه جنوب مدينة الدير الواقعة على الحدود بين بلاد النهرين وعيلام[١١]، وبعد وفاة إيلوشوما انقطعت الأخبار عن توسع النفوذ السياسي للآشوريين.

تعاقب على عرش آشور عدة ملوك تميز عصرهم بالضعف حتى تولى الملك "إيريشم الأول" (١٩٧٤- ١٩٣٥ق.م) الذي في عهده ازدهرت التجارة إلى حد كبير بين آشور وآسيا الصغرى، كما أعاد بناء معبد آشور بعاصمته مدينة آشور، وبنى معبدًا آخرًا للإله أدد والربة عشتار، وتولى عرش آشور بعده الملك "أرى شوم" ف"إيكونم" ثم سرجون الأول الذي بلغت الدولة الآشورية في عهده اتساعًا ملحوظًا[١٢]، وأصبح ملوك آشور اللاحقون له يقدسونه لدرجة وضعوه في مصاف الآلهة[١٣]، حدث ضعف في السلطة الحاكمة الآشورية في آخر عهد الملك سرجون الأول، وأصيبت بالارتباك في عهد كل من الملك "بوزور أشور الثاني" والملك "نارام سين" والملك "أرى شوم الثاني" لدرجة أن إحدى الدويلات، وهي مملكة إشنونة، تمكنت في فترة قصيرة فرض سلطانها عليها[١٤].

عادت آشور مرة أخرى إلى القوة والازدهار في هذا العصر القديم، بعد أن سقطت مملكة إشنونة على يد الملك البابلي القوي "حمورابي" (١٧٢٥ – ١٧٥٠ ق.م)، واعتلى عرش آشور آنذاك الملك "شمش حدد الأول" (١٨١٣ – ١٧٨١ق.م) والمعاصر للملك البابلي حمورابي، الذي استولى على مملكة إشنونة، ومع اعتلاء الملك شمش حدد الأول انتعشت دولة آشور بقوة خلال فترة حكمه، حيث تمكن من توسيع حدود مناطق مملكته باتجاه الغرب والجنوب الغربي، وأخضع قسمًا من مناطق شمال سورية لسلطانه، واصطدم مع العائلة العمورية الحاكمة في مدينة ماري[١٥]، وانتصر على ملكها "إي أخدونليم" ونصب ابنه "يسمخ حدد" نائبًا له على عرشها، وعين الابن الآخر "أشمي داكان" حاكما على إيكلاتم[١٦].

استطاع ابن "أي أخدونليم" المدعو "زيمريليم" أن يستعيد عرش عائلته بالقوة وطرد ابن شمش حدد من المدينة[١٧] بمساعده دولة (يخمد) في حلب[١٨]، وشيد له نصبًا بأرض لبنان على شاطئ البحر المتوسط. وتذكر أحد نصوصه أنه أقام مسلات على ساحل البحر المتوسط، وكان ملك كركميش تابعًا له، وتحالف مع قطنا، بجوار تل المشرفة على نهر العاصي، وزوج ابنه يسمخ حدد بابنة ملك قطنا؛ لذا فقد امتدت قوته إلى شمال سورية، وفي الشرق حتى سفوح جبال زاجروس، ويصف شمش حدد الأول في أحد كتاباته أنه أذل بلاد دجلة والفرات، ويفتخر بنفسه أن أنو وإنليل قلداه الحكم على الملوك[١٩].

بدأت دولة آشور في الضعف والتدهور ليبدأ بعد ذلك عصر جديد لآشور وينتهي عصر آشور القديم.

٢. العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠ – ٩١٢ق.م)

تطورت دولة آشور وقويت شوكتها خلال هذا العصر، ويبدأ بعهد الملك "بوزور آشور الثالث" (١٥٢١ – ١٤٩٨ق.م) وينتهي باعتلاء الملك "أدد نيراري الثاني" (٩١١ – ٨٩١ق.م) للعرش، وقد شهدت الدولة الآشورية خلال هذا العصر أحداث سياسية متنوعة [٢٠]، ، تأثرت بعلاقاتها مع مختلف القوى الدولية آنذاك، وقد استهل ذلك بتخليصها من سطوة الملك البابلي القوي حمورابي، فعقب وفاته سقطت دولة بابل ،حيث طمع ملك الحيثيين [٢١] المدعو "مورشيلي الأول" في السيطرة عليها، وأرسل جيوشه إلى بلاد النهرين واستولى على بابل، ولكن نشبت ثورة عارمة ضد هذا الملك في عاصمته خاتوساسي [٢٢].

اضطر إلى سحب جيوشه من بلاد النهرين لمواجهة تلك الثورة، فتمكنت أقوام من سكان جبال زاجروس من السيطرة على أرض بابل تدعى الكاشيين [٢٣]، وأمام ازدياد قوة الحيثيين والكاشيين اضطر الآشوريون للتقوقع داخل بلادهم تجنبًا للخوض في مواجهات عسكرية لا تساعدهم عليها إمكانياتهم البشرية والمادية المحدودة آنذاك، وقد زاد الطين بلة أمام آشور؛ إذ ظهرت قوة دولة جديدة تعرف بالميتانية[٢٤] (تاـ ميتا)، وأصبح نفوذ تلك الدولة تمتد من شمال سورية حتى ساحل البحر المتوسط، واتخذت من مدينة "واشكاني" عاصمة لها وتمكن ملكها "شاوشتار" من تهديد دولة آشور واحتلال عاصمتها مدينة آشور نفسها ونهبها ونهب معابدها، ولكن استقلت عنها آشور بعد أن منيت دولة ميتان بهزائم عديدة أمام الحيثيين [٢٥].

ضعفت دولة ميتان فقويت دولة آشور وظهرت على مسرح الأحداث ، فدخلت في علاقات طيبة مع الملك المصري "تحتمس الثالث" (١٥٠١ – ١٤٤٧ق.م) أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة[٢٦]، وذلك حينما ضم سورية لمملكته بعد قيامه بنحو سبع عشرة حملة عسكرية إلى هناك، وأخذ يهدد دولة الميتانيين بقوة؛ مما جعل آشور يسارع لنيل وده حتى يقضي على عدوه اللدود في مملكة ميتان التي أصبحت آنذاك تعاني من مرحلة الضعف والاضطراب؛ مما جعل بعد ذلك الملك الآشوري "أشور أوبالط" (١٣٦١ – ١٣٢٨ق.م) [٢٧] والذي يعنى اسمه حافظ الحياة. ويعد الباحثون عصره عصر ازدهار شهدت فيه بلاد آشور نهضة سياسية وحضارية، فاستطاع الانتصار على الملك الميتاني "ارتاتاما الثاني" في نهاية سلسلة من الحروب المتواصلة، واستطاع القضاء على الدولة الميتانية وضمها إلى أملاكه واعترافها بالدولة الآشورية [٢٨].

خاضت آشور في العصر الوسيط صراعًا كبيرًا ضد دولة الكاشيين التي أسقطت مملكة بابل، وحاول الآشوريون إسقاط دولة الكاشيين بعد أن هاجموا عاصمتها ، ولكنهم لم ينجحوا في هذا الآمر، فحاولوا تجريد الكاشيين من حلفائهم بالخارج وخاصة مصر القديمة [٢٩]،وهذه إشارة صريحة من الملك الآشوري للتعاون بينه وبين ملك مصر، إخناتون (١٣٧٠ – ١٣٥٢ق.م) تمهيدًا لعقد اتفاقية عسكرية يقف كل منهما بجانب الآخر في حال اعتداء أية دولة أجنبية على أي منهما [٣٠]، ويبدو من رسائل تل العمارنة [٣١] أن هذا قد أثار حفيظة وغضب الكاشيين، وهذا يتجلى من رسالة الملك الكاشي "بورونابورياش الثاني" (١٣٦٧-١٣٤٧ق.م) إلى ذلك الملك المصري إخناتون يعاتبه على مراسلته لخصمه اللدود، ملك آشور، ولمقابلته الوفد الآشوري الذي زار مصر، ويذكره بأن سلفه الملك الكاشي "كوريجالزو" رفضوا التحالف مع أعداء مصر بسورية من الكنعانيين حرصًا على ود مصر، وطلب هذا الملك الكاشي من إخناتون في رسالة له بكل ذلك، بأن يرسل ذهبًا لكي يمكنه من تشييد معبد وقصر له ، لم يترك الملوك الآشوريون في عصرهم الوسيط فرصة تمر إلا واستغلوها للتدخل في الشئون الداخلية للمملكة الكاشية من أجل إضعافها، واغتنموا فرصة نشوب النزاع الملكي في البلاط الكاشي حول السلطة، وتمكنوا في عهد ملكهم الآشوري "آشور أوبالط الأول" من تنصيب "كوريجالزو الثاني" (١٣٤٣ – ١٣٣١ق.م) على عرش المملكة الكاشية [٣٢].

أ- **الملك شلمنصر الأول (١٢٧٣-١٢٤٤ق.م)**

تولى الحكم الملك "شلمنصر الأول" (١٢٧٣ – ١٢٤٤ق.م) الذي يعد أعظم ملوك العصر الآشوري الوسيط الذي اشتهر بفتوحاته الخارجية وتقوية كيان الدولة الآشورية، والمشهور بسياسته العسكرية الناجحة، حتى الملوك الذين خلفوه ساروا على نفس السياسة[٣٣]، وتميز عهده بالحملات العسكرية المتتالية على الأقوام الجبلية، فقد ازدادت حدود المملكة الآشورية اتساعًا حتى شملت منطقة أورارتو وإنشاء الملك الآشوري على حدودها الجنوبية مستوطنات آشورية دائمة [٣٤]، وألحق دولة خانيكلبات بالدولة الآشورية ونفى أغلب سكانها إلى المناطق الأخرى حفاظًا على الأمن القومي؛ لأنهم كانوا يهددون دولة آشور[٣٥]، وجند بعض شباب الأورارتو في الجيش الآشوري، ثم هاجم كركميش [٣٦]،وشييد مدينة كالح (نمرود الحالية)، وقد اتخذها عاصمة عسكرية لدولته، وهي تقع على بعد ٢٢كم جنوب الموصل، ويظن أنها هجرت بعد وفاته مباشرة، وكانت مدينة عسكرية من الدرجة الأولى، واهتم بمدينة نينوى حيث تذكر النصوص أنه

رمم معابدها، وازدهرت التجارة في عهده وخاصة مع بلاد نائيري في الأناضول ووضع حاميات على الحدود لحماية هذه التجارة [٣٧].

ب- توكلتي نينورتا الأول (١٢٤٤ – ١٢٠٨ ق.م)

تمكن الآشوريون من إسقاط دولة الكاشيين في عهد توكلتي نينورتا الأول خليفة شلمناصر الأول،

حينما قام الملك الآشوري توكلتي الأول باقتحام مدينة بابل وهزم ملكها الكاشي "كاشتلياش الرابع" وضمها إلى ممتلكات آشور، ونهب معابد بابل ودمرها، وفي مقدمتها معبد الإله مردوك، ونقل تمثاله إلى مدينة آشور رمزًا لهذا الانتصار[٣٨].

أخضع سكان مناطق أخرى في الغرب والجنوب الغربي من منطقة خانا وماري وأربيكو، ولكن هذا التوسع الآشوري في شمال بلاد سورية لقي مقاومة عنيفة من حلف أقامته الإمارات السورية الحيثية ضد الآشوريين ، ولكن ذلك الملك الآشوري قد تمكن من هزيمة قوات ذلك الحلف، وأسر الكثير من تلك القوات طبقا لما يذكره في كتاباته بنحو ١٢٨٨٠٠ شخصا، ثم واجه قوات حلف آخر كونه ٢٣ أميرًا في الجهة الشمالية من أرض آشور التي تألفت من بلاد النايري وألحق بهم الهزيمة [٣٩]، أصبح الملك "توكلتي نينورتا الأول" أول ملك آشوري يصل إلى ساحل الخليج العربي، وخلد هذا الانتصار بإنشاء عاصمة جديدة أطلق عليها "كار توكلتي نينورتا" [٤٠] بمعنى (الحصن) أو (مدينة توكلتي)، كما اتبع سياسة تهجير أهالي البلاد المهزومة والمتمردة إلى مناطق بعيدة وإحلال مكانهم سكان آخرين. وهذه السياسة أصبحت متبعة بعد ذلك في آشور، وانتهى حكم الملك توكلتي باغتياله وهو محاصر في قصره عام ١٢٠٨ق.م إثر انقلاب دبره ابنه المسمى "آشور نادن ابلي" مع بعض الأمراء والقواد [٤١].

سارعت بابل بعد اغتيال توكلتي نينورتا بمحاولة النهوض من غفوتها، فشنت هجومًا على آشور وحاصرت عاصمتهم واستطاعت استرداد معبودها الإله مردوخ، وبذلك انكمشت الدولة الآشورية، وأعقب ذلك فترة ضعف حلت في المملكة الآشورية وتقلصت حدودها، وحكم فيها تسعة ملوك ضعفاء من حوالي (١٢٠٨ – ١١١٥ق.م)، حتى تولى الملك تجلات بلاسر الأول (١١١٥ – ١٠٧٧ق.م) الذي نجح في استعادة أيام القوة والمجد للدولة الآشورية بعد أن استطاع والده "آشوروريش إيشي" (١١٣٣ – ١١١٦ق.م) آخر ملوك الفترة المظلمة من إصلاح أمور بلاده، ووقف الأخطار التي تهددها من الشمال والغرب والجنوب؛ حيث تصدى لقبائل الفرنج القادمة من اَسيا الصغرى وحمل بانتصاراته عدة ألقاب وأبرزها ملك العالم، وملك آشور، وملك

الجهات الأربع المؤيد من قبل الآلهة [٤٢]، وبدأ حكمه بالقضاء على قبائل المشكو[٤٣] التي كانت تتدفق لبلاده بمجموعات كبيرة من آسيا الصغرى، كما تصدى للقبائل الآرامية في سورية، التي كانت تعترض طرق التجارة الآشورية، وتهاجم بصفة مستمرة على حدود آشور، ومما لا شك فيه أن الآشوريين استفادوا من تجارة الفينيقيين الرائجة، وأيضًا السيطرة على بابل والقضاء على محاولات الأقوام الجبلية [٤٤]، وتشير نصوص تجلات بلاسر أنه حارب ٦٠ ملكًا وانتصر عليهم، وأخضع ٣٢ شعبًا، وأن حملاته قد وصلت بعد عبور الفرات إلى شرقي بلاد الأناضول، كما وصل إلى بحيرة وان، وأنه هاجم أرض نابيري في أرمينيا، وأجبر حكامها أن يسجدوا عند قدميه، ولا سيما أنه عبر الفرات ٢٨ مرة لمطاردة قبائل أرمينيا، ووصل بتوسعاته حتى جبال لبنان وهاجم أمورو، كما هاجم أرض خاتي وفرض الجزية على ملكها "ايل تشوب"، وهاجم الآراميين واستطاع بجيوشه أن يطرد قبائل الآراميين إلى ما وراء الفرات وطاردهم إلى معاقلهم في منطقة تدمر، وأيضًا هاجم قبائل أخلامو. ويعرف عن هذا الملك أنه كان مغرمًا بصيد الحيوانات الوحشية مثل: التماسيح التي كانت تجلب إليه ضمن الجزية، لذلك أقام حدائق للحيوانات في كثير من المدن والعاصمة الآشورية، كما كان مغرمًا بصيد الضباع والأسود والفهود والنمور، وشهدت نينوى عاصمة الدولة الآشورية اهتمامًا كبيرًا وأعيد بناء أسوارها [٤٥].

مرت الدولة الآشورية بأواخر هذا العصر بحالة من الضعف؛ بسبب الصراع على العرش متمثلا فيما قام به الملك "شمشي أدد الرابع" بالاستيلاء على عرش عمه "آشور بل كالا الثاني"، فازداد نفوذ الدويلات الآرامية في سورية وشمال بلاد النهرين، ومع تولي الملك "نبوموكين إيلي" (٩٩٠ – ٩٥٥ ق.م) حكم بابل ازداد عدد الآراميين في بابل، وقطعوا خطوط المواصلات بين العاصمة وضواحيها، ونجحت القبائل الآرامية في أن توجد في وادي دجلة الأسفل، ومع نهاية العصر الآشوري الوسيط خلال النصف الثاني من القرن العاشر قبل الميلاد بدأت حالة من الهدوء من جانب المستوطنين في أرمينيا واستفادة آشور من ذلك خاصة في عهد الملك "آشور دان الثاني" (٩٣٤ – ٩١١ ق.م) والذي شهد عهده فترة من الرخاء والازدهار [٤٦].

ثانيا : ازدهار الحياة السياسية وذروتها خلال العصر الآشوري الحديث

أ- المرحلة الاولى من العصر الآشورى الحديث

امتدت الإمبراطورية الآشورية الحديثة مدة ثلاثة قرون اشتملت خلالها كما يحلو لبعض المؤرخين على مرحلتين، امتدت الأولى منها عام(٩١١ – ٧٤٥ ق.م) فبلغت خلالها أشور قدر هائل من القوة والازدهار والاتساع بفضل جهود ملوكها الذين تمكنوا من إخضاع بابل والسيطرة

على المناطق الجبلية بالشمال والشرق من بلاد النهرين، ومد نفوذهم كذلك إلى الأراضي السورية، ونجاحهم في إخضاع الممالك الآرامية [٤٧]، ويمكن أن نتناول هاتين المرحلتين فيما يأتي :المرحلة الأولى: عرفت خلالها الدولة الآشورية مجموعة من الملوك أسهموا بدور بالغ في نمو تلك الدولة حتى تمكنت في المرحلة الثانية من السيطرة على معظم الشرق الأدنى القديم، وأهم ملوك المرحلة الاولى هم:

١. أدد نيرارى الثاني (٩١١ – ٨٩١ ق.م)

اعتلى الملك الآشوري "أدد نيراري الثاني" (٩١١ – ٨٩١ ق.م) عرش آشور، وشهد عهده قيام دولة عظيمة؛ فاعتبروه المؤسس الحقيقي للدولة الآشورية الحديثة ، حيث أسس ما يسمى بنظام الحكم الإمبراطوري، فأخذ على عاتقه مسئولية الفتوحات العسكرية، لذلك قام بتجهيز حملات عسكرية على الجهات كافة [٤٨]، فاغتنم الملك الآشوري أدد نيراري الثاني فرصة زوال الإمبراطورية الحيثية لضرب الدويلات الآرامية المدعومة من قبل الحيثيين في المناطق التي استقرت بها في بلاد النهرين أو في شمال سورية، فشن حملة عسكرية على المناطق الآشورية التي انتزعت من الآشوريين من قبل الآراميين في عهدهم الوسيط والواقعة في منطقة الفرات الأوسط [٤٩] ،وقام بحملة على مناطق الزاب الكبير حتى وصل إلى بعض المدن القريبة من بحيرة أورميا، وفي عام ٨٩٥ق.م أغار على إقليم قوماني وخبخو على الحدود الشمالية الشرقية فدمرها، وأشعل النار فيها ونقل الغنائم منها إلى بلاد آشور [٥٠] ، وكان الهدف منها هو تثبيت السلطة في عدد من القلاع الآشورية في مدينة كومو أو قوماني، وبعد الاضطرابات التي حدثت استطاع أن يعيد إليها الأمن والاستقرار وأسر حاكمها "ايلويا" وقتل قائد جيشه، وذلك طبقًا لما ورد في أحد نصوصه: **"بأمر إلهي وسيدى آشور زحفت لتقديم العون إلى قوماني، وقدمت القرابين للإله أدد في هذه المدينة، وهاجمت بعرباتي وسيطرت على أراضيها وأسرت ملكها لويا في قصره وقتلت إخوته وجعلتهم ركامًا، وأحرقت مدن بلاد خنخو، وأخذت ممتلكات هذه البلاد إلى مدينة آشور وفرضت عليهم إرسال هدايا الطاعة والولاء باستحقاق إلى آشور وهرب البقية من قبضتي"** [٥١].

قام بحملة ثانية على إقليم قوماني وخبخو التي امتنعت عن دفع الجزية وإرسال الهدايا إلى بلاد آشور عام ٨٩٤ق.م ، واستطاع إخضاعها كما يقول في نصه: **"زحفت للمرة الثانية إلى إقليم قوماني وفتحت وأحرقت وحطمت مدن ساتكورو وياسادو كونو وتابسيا**

ومدن من بلاد خبخو عند أطراف قوماني التي امتنعت عن دفع الجزية"، كما هاجم إقليم موصاصير[٥٢] الذي يضم منطقة رواندوز وسيدكان حاليًا، كما هاجم بلاد نامري عن طريق كيرخي وقتل ونهب منها ما أراد، وكذلك قام بتجهيز ست حملات أخرى بجانب ما سبق ضد الآراميين، وسجل انتصاره عليهم وغنم منهم كثيرًا من العربات والذهب والفضة[٥٣].

أرسل الحاكم الآرامي بيت أيديني (تل أحمد الحالية) بالهدايا طالبًا ود الملك "أدد نيراري"، ولعل السبب في هذه الحملات على الآراميين يكمن في نقضهم العهد الذي قطعوه للدولة الآشورية بعدم الخروج عن طاعتهم، وكان على رأس المتمردين رجل يدعى "موكورد ،أما في الاتجاه الشمالي من بلاد آشور، فقد قام بإرسال حملة عسكرية هدفها السيطرة على منطقة نصيبن ومناطق خانيكلبات[٥٤]، وبعد ذلك قام أدد نيراري بتعيين حاكم عسكري آشوري على مدينة نصيبن وهو "آشور ديني أمور"، كما قام بإعادة بناء مدينة "أبقو"[٥٥]، وجعل فيها حصنًا، وازدهرت الحياة الاقتصادية بفضل الغنائم والثروات الضخمة التي توافدت على بلاد آشور؛ فنشطت أعمال البناء والعمران، ووسائل الري والزراعة، وازدهرت التجارة مع الأقاليم المجاورة بفضل ما فرضه من أمن وسلامة على الطرق التجارية [٥٦].

٢. الملك شلمنصر الثالث (٨٥٩ – ٨٢٤ق.م)

تولى "شلمناصر الثالث" عرش الإمبراطورية الآشورية (٨٥٩ – ٨٢٤ ق.م)، ولم يكن أقل اعتزاز بجبروته من أبيه أشور نصر بال، ولم يكتف بإمبراطورية أبيه الواسعة التي ورثها بل أضاف إليها مستعمرات جديدة، إلى أن وصلت الجيوش الآشورية في عهده إلى أماكن أخرى بحملاته العسكرية المتكررة حتى أصبحت تضم دولته جميع المناطق الممتدة من الخليج العربي إلى جبال أرمينيا، ومن الأراضي الميدية شمال غرب إيران إلى سواحل البحر المتوسط [٥٧]، وبدأت حملاته العسكرية ناحية الغرب، ففي السنة الأولى من حكمه قام بحملة على ساحل البحر المتوسط عبر فيها نهر الأرونت وغسل أسلحته في البحر وقدم هناك القرابين للآلهة وقطع أخشاب الأرز.

قاتل حلفًا عسكريًا من حكام المدن الآرامية منهم حبانو حاكم سمأل (تقع في كيليكيا وعاصمتها سنجرلي)، وسبالومي حاكم أونقي، وأخوني حاكم بيت عديني، وسنغارا حاكم قرقميش، وتمكن من هزيمتهم وأخذ الكثير من الغنائم، ثم توجه إلى منطقة الأمانوس؛ فأقام نصبًا تذكاريًا يخلد نصره، وبعدها زحف بقواته ناحية الغرب واستولى على المدن التابعة لأخوني مالك بيت عديني، وسنغارا ملك قرقميش، كما تسلم هدايا بالخضوع من سمأل وبيت أجوش (دولة آرامية عاصمتها أرباد الواقعة شمال حلب) وكوموخ، وكذلك انتزع الكثير من المدن التابعة

للآراميين ،وفي ظل تلك الانتصارات المتلاحقة للملك شلمنصر الثالث، فقد ساد أرامي سورية حالة من الفزع والقلق فسعوا للتقارب مع مملكة اسرائيل وملكها "أهاب" (٨٦٩ – ٨٥٠ق.م) الذي دخل في حلف مع ملك دمشق "هداد – أزار" ضد الملك الآشوري، الذي قام عام ٨٥٣ق.م بحملة أخرى ضدهم والتي لم تكن صيدًا سهلاً، وانضم إلى دمشق جيرانها من البدو والعبرانيين وكانت قواتهم تتكون من ٦٢٩٠٠ من المشاة، و١٩٠٠ من الخيالة، و٣٩٠٠عجلة حربية، بعد أن أخذ هدايا الطاعة والولاء من حكام الشمال السوري وذلك من مدن سنجار وقرقميش وكوموخ وبيت أجوش وسمأل، ثم توجه نحو حلب [٥٨] التي كانت تحت سلطة أرخوليني، واستولى على الكثير من المدن وأحرق قصورها الملكية، وأخذ الكثير من الغنائم ، وسارع بقواته نحو هذا الحلف بمدينة قرقر على نهر العاصي [٥٩]، الذي زاد أعضاؤه ليصل عددهم نحو ١٢ ملكًا، وهناك بقرقر دارت معركة قوية سجل أحداثها في حولياته الملكية. أما بالنسبة لعلاقة هذا الملك ببابل فقد حرص على تدعيم نفوذه بها، لذلك نجده يسارع بنجدة الحاكم البابلي "زاكر شومي" الموالي له، حينما طلب النجدة من آشور على أثر ثورة عارمة هبت ضده، إذ أرسل شلمناصر حملة عسكرية تمكنت من قمع الثورة وعززت من حكم ذلك الحاكم البابلي الموالي للآشوريين [٦٠]، وانتهى حكم شلمنصر الثالث بثورة داخلية في بلاد آشور تزعمها أحد أبنائه المسمى "آشور دانن ابلي" وانحازت إلى جانبه ٢٧ مدينة من بينها مدينة آشور ونينوى وأربيل وأرابني كركوك، ولكون شلمنصر كان قد بلغ من العمر عتيًا فقد عمد إلى ابنه "شمش أدد" مهمة إخماد تلك الاضطرابات التي دامت أربع سنوات ، واعتلى العرش الآشوري "شمش أدد الخامس" (٨٢٤ – ٨١١ ق.م)، وعلى الرغم من نجاح هذا الملك في إخماد الثورة والاضطرابات فإن الحرب الأهلية قد استنزفت قوة الدولة وأفقدتها سلطاتها على العديد من الأقاليم التابعة لها ، التي اغتنم الكثير من حكامها فرصة انشغال الإمبراطورية بالحرب الأهلية وتمردوا على الدولة الآشورية [٦١]، ولكن اللافت للنظر أن مدينة بابل الدائمة للثورات قد ظلت على ولائها لآشور وتحسنت العلاقات معها بزواج ملك آشور من أميرة بابلية تدعى "سمرمات" والتي حظيت بشهرة واسعة حتى عرفها اليونان باسم سميراميس [٦٢]، وصارت وصية على ولدها أدد نيراري الثالث الذي اعتلى العرش وهو صغير السن بعد وفاة والده.

٣. الملك تجلات بلاسر الثالث (٧٤٣ – ٧٢٧ ق.م)

كان عهده من العهود الجديدة في حياة الإمبراطورية الآشورية وتوفرت فيه قيادة جديدة تعيد للإمبراطورية مجدها السابق وتنفض الغبار عن كاهلها لذلك أعاد تنظيم الإدارة

الآشورية وإصلاحها إصلاحا جذريًا؛ ليضمن سلامة وأمن الدولة، لذلك كان حكم الملك تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ – ٧٢٧ ق.م) بداية لنهوض الدولة الآشورية من جديد وبلوغها أوج ازدهارها [٦٣]، وانتهج سياسة واضحة استهدف من خلالها الإصلاح الإداري بشكل تدريجي من أجل تقوية السلطة الملكية ووحدة بلاد آشور، ونظم أمور بلاده الداخلية لتثبيت دعائم حكمه قبل أن ينظر إلى أعدائه في الخارج، بالإضافة إلى انتهاج سياسة ثابتة تجاه الولايات الحليفة، ودراسة وضع الدول التي تشكل خطورة على الدولة الآشورية، ووضع الحلول الصحيحة لمعالجتها بحكمة وتروي؛ لكي يضمن لبلاد آشور وزنها الدولي واحترامها من قبل بلدان الشرق القديم[٦٤]، وكان هناك أمور وضعها تجلات بلاسر الثالث نصب عينيه تمثلت في الإصلاح الإداري وقد طبقه بشكل تدريجي لغرض تقوية السلطة والتقليل من النفوذ المتفاقم للأمراء، وربط المقاطعات بولاة يكونون مسئولين أمامه مباشرة، فقام عام ٧٣٨ق.م بإعادة تنظيم شئون الدولة الآشورية بما يخدم المصلحة العامة لذلك قام بمنح الأمراء من العائلة الملكية بعض المقاطعات الإدارية لإدارتها وحكمها حكمًا ذاتيًا في بداية عهده، ثم بعد فترة وجيزة قام بتقسيم تلك المقاطعات إلى وحدات أصغر وينصب عليها حكامًا إداريين يخضعون لسلطته المباشرة في العاصمة [٦٥]، وعمل على الربط بين مختلف المواقع والمقاطعات بالمواصلات؛ ليعزز من إحكام السيطرة على أطراف الإمبراطورية، فحكم عليهم بإرسال تقارير تفصيلية ودورية إلى العاصمة ، هذا فضلاً عن قيامه بزيارات ميدانية إلى تلك المقاطعات بإرسال ممثلين نيابة عنه يشرفون على السياسة الخارجية وكل ما يتعلق بالتجارة، وعفاهم من الضرائب ومنحوا الاستقلال الذاتي مع ضمان الدعم الملكي ضد أي اعتداء أو تمرد عليهم [٦٦].

كان من أهم المشاكل التي واجهت الدولة الآشورية في عهد تجلات بلاسر الثالث هي مشكلة مملكة أورارتو، ومحاولاتها غزو بلاد سورية، والسيطرة على المنافذ والمسالك التجارية التي تمر بها بلاد آشور كتجارة المعادن والأخشاب. وفكر تجلات بلاسر الثالث ألا يقوم بمهاجمة مملكة أورارتو في أراضيها بمنطقة أرمينيا، ولكن قام بتحجيم قوة حلفاء أورارتو وجعلها غير قادرة على إثارة المشاكل للدولة الآشورية وتجريدها من قدراتها الاقتصادية[٦٧]، فقام بربط مناطق شمال بلاد سورية بالإدارة المركزية واستطاع أن يخضع جميع المدن الثائرة وفرض الجزية عليهم وربطها بالسلطة المركزية كما ذكرنا مثل: منطقة دهوك وزامو، وقام بترحيل شعوب هؤلاء المناطق إلى شمال سورية لضمان الهدوء في المنطقة، ولكن الأورارتيون لم ينتهوا من مساعدتهم للمتمردين فسببوا قلقًا للدولة الآشورية فتوجه إلى نامري المجاورة لدولة الأورارتيون عام ٧٤٣ق.م وتمكن من السيطرة

عليها دون مقاومة [٦٨]، ثم أخضع الأراضي في شرق دجلة من بلاد الأناضول وجنوبي بحيرة أورميا حتى الحدود الشمالية لبلاد عيلام، وذكر في أحد نصوصه: **"في السنة الثانية من حكمي وبأمر من الإله آشور سيدي الذي كان في عوني ضد أرض نامري أوقفت تقدم الأورارتيين وطاردتهم إلى عقر دارهم، فأرهبت حكام المدن والمقاطعات فقدموا الطاعة والخضوع "**[٦٩]، ومن الطبيعي أن يسيطر على بلاد مناطق زاكروس قبل أن يتوجهوا إلى المناطق الشمالية الشرقية في قلب مملكة أورارتو. ومن نتائج هذه الحملة أن الملك الأورارتى "سردوري الثاني" (٧٦٤ – ٧٣٥ ق.م) فزع من الملك تجلات بلاسر الثالث وقام بتشكيل حلف ضم مقاطعات كثيرة منها ميليد وكركوم وكموخ، وكان الحلف بقيادة حاكم أرباد "ماتع ايلو"، وعندما علم الملك الآشوري بذلك اختار الجبهة الغربية لتكون مكانًا لملاقاة الحلف[٧٠] في معركة حاسمة، وتمكن من عبور الفرات ووصل إلى أسوار مدينة أرباد عاصمة أجوسي، والتقى الجيشان في كماجين بالقرب من الفرات، وانتصر الجيش الآشوري على الرغم من كبر عدة الجيش الأورارتي [٧١]، ثم حاصر مدينة أرباد التي استسلمت بعد حصار دام ثلاث سنوات، ونتيجة لهذا استسلمت دمشق وبعض المدن الأخرى [٧٢] ، وفي عام ٧٣٦ق.م أغار على ميديا التي تمردت بتحريك من الأورارتيين، وكان سكان مدينة أورباش قد تحصنوا في الجبل إلا أن الملك الأشوري استطاع أن يهاجمهم ويقتل منهم الكثير، وفر ملك تديرونا "أوشرو" إلى الجبال إلا أن الجيش الآشوري لحق به وقبض عليه وبذلك خضعت بلاد الميديين، وخلف نصبًا تذكاريًا في شيلخاري، ونقش صورته على صخرة في تيلشوري ووصل إلى جبال قمة هماوند [٧٣]، وكانت هذه أول مرة يصل إليها الجيش الآشوري ويشهد على ذلك القصر المحلي الذي يعود إلى تجلات بلاسر الثالث الذي اكتشف في "تبة كيان" قرب نهاوند[٧٤]، وأثناء انشغال الدولة الآشورية مع الأورارتيون تمردت القبائل الآرامية في بابل مستغلة الظروف فبدأوا بإثارة الفتن والاضطرابات، فعندما علم الملك الآشوري أرسل حملة إلى بابل أطاحت بالتمردات والثورات التي قام بها الآراميون وأمن حدود الدولة الآشورية من ناحية الجنوب وترك مدينة بابل تدار من قبل حاكمها البابلي الموالي للدولة الآشورية "نابو ناصر" الذي حافظ على علاقته الحسنة بالدولة الآشورية [٧٥].

ب- المرحلة الثانية لأمبراطورية آشور الحديثة:

١. الملك سرجون الآشوري (٧٢٢ – ٧٠٥ق.م)

اعتلى العرش الآشورى ما بين عامي (٧٢٢ – ٧٠٥ق.م) ومن غير المعلوم لدى المؤرخين علاقته بالملك السابق شلمنصر الخامس بالنسبة لحكمه للدولة الآشورية من كونه أحد أبنائه أو من أقاربه أو أنه مغتصب العرش عن طريق الانقلاب، إذ لم يدون سرجون الثاني في تسجيلاته وحولياته أي ذكر عن نسبه وأصله وأجداده ،ومهما يكن من أمر فإن سرجون أسس العائلة التي حكمت من ملوك آخر عهود التاريخ الآشوري، ونسبت إليه هذه العائلة وذلك باسم "السلالة السرجونية" [٧٦]، وقد لقب الملك سرجون الثاني باسم "شاروكين" التي تعني الملك الحقيقي أو الصادق أو المسكين وهى تسمية مأخوذة من التوراة من سفر الملوك الثاني ، ،، وجه الملك سرجون الثاني أنظاره إلى أعدائه الذين خرجوا عن سيطرة الآشوريين بعد أن فرغ من الأمور الداخلية للبلاد، وأثرت بشكل سلبي على تجارتها الدولية، فاستغلت بعض الأقاليم والمقاطعات الآشورية فرصة اعتلاء سرجون العرش فأعلنت التمرد والعصيان بتحريض من مملكة أورارتو وعيلام التي كانت تساعد على تأجج الثورات بآشور[٧٧]، فازدادت ضغوط الأقوام الشمالية في شمال وشمال شرق بلاد آشور التي كانت تهدد كيان الدولة الآشورية وخاصة أقوام زيكرتو فقام كلًا من ملك زيكرتو "ميتاتى"، وملك أورارتو "روساس" بعقد تحالف ضد دولة آشور، وكان هذا الحلف ضد إقليم المانيين الذي كان خاضعًا للدولة الآشورية [٧٨]، فسيطروا على بعض الأراضي التابعة للمانيين ومنها قلعتا شوانداخول ودوردوكا، فاستغاث "أرانزو" ملك المانيين واستجاب سرجون لهذا النداء فخرج بحملة، واستطاع أن يسترد ما اغتصب من بلاد المانيين[٧٩] ، استمر زحف الجيش الآشوري حتى وصل إلى مقر أورارتو، ودخلها وقطع رقاب عدد كبير من كبار الأورارتو، وأسر ٢٦٠ أميرًا من أقرباء الملك وهرب روساس وميتاتي إلى الجبل، فاستمر سرجون الثاني من ملاحقة المنهزمين فاتحًا الكثير من المدن في طريقه إلى الشمال ودخل أورارتو من ناحية الشرق؛ لأن الطريق في غرب بحيرة أورميا كان مسدودًا بخط من الحصون القوية؛ لذلك اتجه سرجون بجيشه إلى الجانب الشرقي من البحيرة [٨٠]، ولكنه لم يهاجم العاصمة الأورارتية نفسها –تورشيبا– لتحصينها المنيع، فاتجه إلى مدينة موصاصير حيث توجه بجيشه حول شمال بحيرة وان، ثم اتجه إلى نائيري وتسلم الهدايا والطاعة والولاء من ملكها "يانزوا"، وجلب منها الغنائم الكثيرة وأخذ إله موصاصير وهو "هالديا" وأخذ الكنوز الثمينة من أواني وذهب وفضة [٨١].

٢. الملك سنحريب (٧٠٥-٦٨٠ ق.م)

تولى عرش الإمبراطورية الآشورية الثانية الملك سنحريب بعد وفاة والده الملك سرجون الآشوري، ومعنى اسم سنحريب هو (سين- أخي- أريب) أي عوض الإله موت الأشقاء، فلم يكن سنحريب هو الابن الأكبر للملك سرجون ولكن وقع عليه الاختيار؛ ليكون الوريث الشرعي للملك سرجون، فقد تربى وتدرب في القصر الملكي، وأسندت إليه الكثير من المسؤوليات الإدارية والعسكرية الرفيعة في عهد أبيه(٨٢)، وخصوصًا في منطقة الحدود الشمالية للإمبراطورية، وجه سنحريب جهوده إلى الجهة الشمالية فوجه حملة إلى بلاد نامري الواقعة بين نهر ديالي ووسط دربندخان لأهمية هذه المنطقة من الناحية العسكرية؛ لأنها تقع بين بلاد آشور وإيران، وأهميتها الأمنية لبلاد آشور، وخوفًا من تمرد القبائل التي تسكن هذه المنطقة، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهت الجيش الآشوري ، فإنه استطاع أن يحقق أهداف الحملة من خلال إخضاع المنطقة للسلطة الآشورية عام ٧٠٢ق.م وتوطيد الأمن والاستقرار، وعلى أثر هذه الحملة رحل سكان المنطقة وأسكنهم في مدينة خاردشبي وألحق هذه المدن المتمردة بمقاطعة أربخا إداريًا، وأثناء عودته من هذه الحملة زحف نحو بلاد الأليبي، وهجم عليها وفرض سيطرته على أربخا وثلاثين مدينة من مدنها (٨٣)، وانشغل سنحريب في الأعوام التالية بحروبه في كليكيا، وفتح المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى الساحلية، وقاد حملة على تابال عام ٦٩٥ق.م وسيطر عليها، كما قاد حملة على الجهة الشمالية الشرقية بهدف دفع خطر الأورارتيين عن بلاده والسيطرة على طرق تجارة آشور(٨٤).

انتهت حياة سنحريب عام ٦٨١ق.م علي يد أحد أبنائه المدعو "أراد مولش" وهو يتعبد في أحد المعابد، وأعلن التمرد ضده؛ مما أثار الاضطرابات الداخلية حتى أخمدها ابنه أسرحدون بعد ثلاثة أشهر(٨٥).

٣. الملك أسرحدون (٦٨١ – ٦٦٩ ق.م)

شهدت الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية في بداية حكم أسرحدون تدفق أقوام هندو أوروبية جديدة وعلى رأسهم السيكثيون (٨٦) الذين شكلوا ضغطًا متزايدًا على حدود الدولة الآشورية، وألحقت هذه الأقوام بالكميريين الذين توغلوا في وقت قصير في آسيا الصغرى وأرمينيا، وورد اسم هؤلاء بالنصوص الآشورية باسم الأشكوزايا، وفي المصادر الكلاسيكية باسم الأسكيثية وباتحادهم مع الكميريين شكلوا قوة كبرى أخذت تهدد المصالح الآشورية في المنطقة وامتازت هذه الأقوام بفنون القتال(٨٧)، اغتنم الفرصة "تبوشيا" ملك الأسكثيين عندما اغتيل سنحريب عام

٦٧٩ق.م ، وأغار على الحاميات الآشورية في خيلاكو، وكليكيا، وتابال، في آسيا الصغرى إلى الشمال الغربي من بلاد النهرين، فقام أسرحدون بشن حملة عليهم وتمكن من هزيمة ملكهم والقضاء على المتمردين **الملك آشور بانيبال (٦٨٨ – ٦٢٧ق.م)**

بدأ نفوذ الآشوريين يتقلص في المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية نتيجة انشغال الجيش الآشوري في مصر وبابل وعيلام وتعاظم قوة الميديين ووجود السكثيين والكميريين في آسيا الصغرى، فاستغلت هؤلاء الأقوام الجبلية هذه الفرصة وقاموا بإعلان التمرد على الدولة الآشورية وتهديدها، وتكونت القبائل الميدية مع بعضها البعض مكونة حلفًا قويًا يهدد الآشوريين؛ لذلك قام آشور بانيبال بعدة حملات تأديبية عليهم لإعادة السيادة الآشورية عليهم [٨٨]، فتمردت المانيين بزعامة ملكهم "أحشيري"؛ فأرسل آشور بانيبال حملة عسكرية عليهم وهزم أحشيري الذي فر إلى الجبال وترك عاصمته ايزيرتا [٨٩]، ثم جاء واختبأ في مدينة أشتاتى المحصنة، فأهلكت من الحصار الذي فرضه عليهم آشور بانيبال، فقام جنود أحشيرى بقتله وألقوا جثته خارج المدينة وبايعوا ابنه "اوالي" ملكًا عليهم الذي قدم الجزية للآشوريين فأصبح تابعًا لهم [٩٠]، وافتتح الآشوريون ثماني مدن من مدنه المحصنة ، وصل آشور بانيبال بفتوحاته حتي وصل إلى آسيا الصغرى، مملكة ليديا، التي اعتمدت في كثير من نشاطها المدني والحربي على الإغريق المستوطنين فيها، وتحالف مع مصر ضد الآشوريين فهاجمها الآشوريون، وقاموا بقتل ملكها "جيحس" عام ٦٥٣ ق.م، واضطر ولده أرديس إلى مهادنتهم إتقاء لشرهم[٩١]،هوى الملك آشوربانيبال صريع أمراض شقي بها حتى توفي في عام ٦٢٦ ق. م[٩٢]، ثم بعد وفاة الملك آشور بانيبال حدث نزاع حول وراثة العرش حتى اعتلى ابنه "آشور أيتل إيلانى" (٦٢٦ – ٦٢٤ق.م) الذي قضى فترة حكمه القصيرة في الدفاع عن العرش، ثم جاء بعده "سن شو موليشر"، ثم "سن شار أشيكون"، ثم "آشور أوبالط الثاني" (٦١١ – ٦٠٩ق.م) [٩٣]، فقد أدت الاضطرابات الداخلية وضعف الحكام ونفوذهم إلى سقوط العاصمة الآشورية نينوى في أيدي البابليين والميديين في عام ٦١٢ق.م بعد معركة دموية أدت إلى سقوط الدولة الآشورية بسقوط العاصمة نينوى ودمروها تدميرًا عنيفًا كاملاً [٩٤].

الخاتمة

تمتعت مناطق الشرق الأدنى القديم وخصوصًا بلاد آشور طوال الألف الثالث قبل الميلاد؛ بالاقتراب من الاستقرار؛ إذ كانت في بداية نشأتها وتطورها، ولم تكن هناك قوى كبرى مؤثرة يمكن أن يكون لها دورًا رئيسًا في المنطقة، واقتصر الصراع الحربي فيما بين الدويلات بعضها ببعض داخل القطر الواحد من ناحية، إلى جانب تحصين حدودها ضد جيرانها من ناحية أخرى.

كانت لجغرافية بلاد آشور أثرًا كبيرًا في سير الحملات العسكرية، فبحكم موقعها القريب من المناطق الجبلية تعرضت للكثير من التهديدات، فكانت بلاد آشور دائما عرضة للهجوم عليها، فكانت هذه المدن تتحين الفرصة للانقضاض على المدن الآشورية مثل: اورارتو في ارمينيا، واستفاد الآشوريون من موقعهم الجغرافي في الحصول على المواد الأولية، كما أسهمت جغرافية بلاد آشور في حمايتها من الجهة الشرقية والشمالية؛ لوجود الجبال التي تكون بمثابة حدود طبيعية علي عكس الجنوب والغرب.

لم يشهد العصر الآشوري القديم حملات كثيرة على المناطق الشمالية والشمالية الشرقية؛ لوجود قوى عظمى في ذلك الوقت هي المسيطرة على المناطق، وأهمها: بابل والحيثيون؛ لذلك اقتصر نشاطها على العلاقات التجارية معًا.

قامت الحملات العسكرية الآشورية؛ بهدف إعادة النظام وردع الخطر عن بلادهم، كما قامت من أجل دوافع عديدة منها دوافع دينية بأمر من الإله، وسياسية القضاء على الأحلاف المعادية لهم، ومنع التمرد، وفرض سيطرتها على المنطقة، ودوافع اقتصادية للحصول على الموارد الأولية للحفاظ على تجارتها والطرق التجارية الخاصة بها.

الهوامش:

أحمد أمين سليم: مدراسات فى تاريخ وحضارة العراق القديم، الاسكندرية، مكتبة المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤م ، ص١٤٥.

(٢) زيباري عزيز محمد أمين والشديفات يونس محمد: الحملات العسكرية الأشورية على المناطق الواقعة إلى الشمال والشمال الشرقي لبلاد أشور في ضوء النصوص المسمارية المنشورة، رسالة ماجيستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٩، ص١٥.

(٣) طه باقر وآخرون: تاريخ العراق القديم، بغداد، ١٩٨٧، ص٤٧٩.

(٤) إيفا كانجيك وكير شباوم: تاريخ الآشوريين القديم، ترجمة فاروق اسماعيل، ط١، دمشق، ٢٠٠٨، ص٣٣.

(٥) أندرية بارو: بلاد آشور، ترجمة وتعليق عيسي سليمان، سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٠، ص٣٣١.

(٦) طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة،ج١، ط١، بيروت، ٢٠٠٩م ، ص ٥٢٦.

(٧) طه باقر: مرجع سابق ، ص ٥٢٧.

(8) **Delaparte, L. Masopotamia, The Babylonia and Assyrian Civilization, London, 1925, p.18.**

(٩) توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور حتى ١١٩٠ق.م (الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين بلاد الشام)، ط١، دار دمشق، ١٩٨٥، ص١٦٢.

(١٠) تقع هذه المدينة على بعد ٣٥كم إلى الشمال الشرقي لمدينة الديوانية، وكانت هذه المدينة في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد مركزًا دينيًا وثقافيًا لبلاد سومر ، ونقب فيها العالم الإنجليزي ليارد عام ١٨٥١م. أنظر زيباري عزيز محمد أمين والشديفات يونس محمد: مرجع سابق ، ص١٧.

(١١) طه باقر وآخرون: مرجع سابق، ص٤٧٩.

(١٢) فاضل عبد الواحد علي: السومريون والأكاديون في موسوعة العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣، ص٧٢.

(١٣) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص١٦٣.

(14) **Mallowan, M. E. F. ''The Bronze Head of Akkadian Period from Nineveh'' in, IRAQ, vol.. III, 1936, p. 104.**

(١٥) تل الحريري حاليا يقع على بعد حوالي ١١كم شمال غربي بلدة البو كمال عند الحدود العراقية السورية ، وعلى بعد ٢,٥ كم غربي نهر الفرات، واحتلت المدينة من قبل سرجون الأكادي في مساره نحو شمال سوريه، وكانت مدينة مهمة في عهد مملكة أور الثالثة. يُنظر:

Jacobsen, Th. The Sumerian King–List, 1939, p.22.

(١٦) تذكر في بعض الأحيان بصيغة أقلاطوم وهى مدينة لا نعرف موقعها بالضبط ، وتقع في وادي دجلة، وكانت تابعة لمدينة أشنونا. يُنظر: جورج رو: العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، ط٣، بغداد، ٢٠٠٠، ص٢٥٨.

(17)**Kupper, J. R. ''Northern Mespotmia and Syria'' in, CAH, 1973, p.1.**

(١٨) توفيق سليمان: المرجع السابق، ص١٦٨.

(19)**Poeble, A. ''The Assyrian King List from Khorsabad'' in, JNES,1, 1942, p.247.**

(20)**Leamans, W. F. '' The old Babylonian Merchant'', Leiden, 1950, p.78.**

(٢١) الحيثين هم من الأقوام الهندو أوروبية قدموا إلى منطقة وسط هضبة الأناضول عند منحى نهر الهاليس، وأطلقوا عليها اسم حاتي، ومنها عرفوا بالحاثيين، وعاصمتهم عرفت باسم حاتوشاش (بوغازي الحالية) التي تبعد مسافه ٨٠ ميلاً شرق انقرة. يُنظر:

Gurney, O. R. ''The Hittites'', London, 1961, p.5.

(٢٢) جرني: الحيثيون، ترجمة محمد عبد القادر محمد، بغداد، ١٩٦٣، ص٤٤.

(٢٣) هم قبائل جبلية جاءت من الراي إلى شرق جبال زاجروس، ابتداء من الأسرة البابلية الأولى، واختلف المؤرخون حول أصلهم، وهل هم عناصر هندو أوروبية أم عيلامية. يُنظر: مشير الناضوري: مرجع سابق، ص٦٧؛ السيد محمد السعيد: مرجع سابق، ص٧٠.

(٢٤)هم الذين ذكرتهم النصوص المصرية باسم تاومتن واسم خاسوت من، وينحدرون من عناصر هندو أوروبية، اشتهروا باسم الميتانين، وكونوا طبقه من النبلاء المحاربين واتحدوا مع الحوريين من بني عمومهم، وهم الذين وفدوا إلى المنطقة قبلهم من منطقه القوقاز، وانتشروا في بلاد الأناضول، واتخذوا واشاكاني عاصمة لهم (تل الفخارية حاليًا). يُنظر: محمد علي سعدالله: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم – العراق – سورية – آسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، ص ١٢٧.

(٢٥) طه باقر: مرجع سابق، ص ٥٣٣.

(٢٦) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص٣١٩.

(٢٧) غيث حبيب خليل: العلاقات السياسية الآشورية في عهد الملك آشور أوبالط الأول ١٣٦٥-١٣٣٠ق.م، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، م٢٠، ع١٠، ٢٠١٣، ص٣٥٤.

(٢٨) محمد علي سعد الله: مرجع سابق، ص ١٢٨.

(٢٩) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص٣٢٠.

(30)Godd, C. J. Gadd, C. J. '' Hammurabi and The End of Hisdynasty'' in CAH, vol.. II, part 1, p. 24.

(٣١) هي عاصمة الفرعون المصري إخناتون تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل ضمن محافظة المنيا فى مصر الوسطى مركز دير مواس على بعد ١٩٠كم جنوب القاهرة، وأطلق عليها اسم أخت آتون بمعنى أفق أتون، ووضع لوحات حدود على ضفتي النيل، ولكن المدينة هجرت بعد وفاة مؤسسها ، وقد عثر في هذه المدينة عام ١٨٨٧م مصادفة عن طريق إحدى الفلاحات على مجموعة من الرسائل الملكية الهامة جدًا والتي عرفت باسم رسائل تل العمارنة، وهى عبارة عن مجموعة من رسائل دبلوماسية متبادلة في عهد كل من إمنحوتب الثالث وولده إمنحوتب الرابع إخناتون. يُنظر: أحمد فخرى: تل العمارنة في الموسوعة المصرية تاريخ مصر القديمة وآثارها، مج١، ج١، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٨٨.

(32)**Mum–Rankin, M. J. '' Assyrian Military Power'', in CAH, vol. II, p.274.**

(٣٣) محمد حرب فرزات وعيد مرعى: دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط٢، دمشق، ١٩٩٤، ص١٧١.

(34)**Mum–Rankin, M. J. op.cit., p. 275.**

(٣٥) دياكوف وكوفاليف : الحضارات القديمة، ترجمة "نسيم واكيم اليازجي، ج١، ط١، دمشق، ٢٠٠٠، ص١٨٢.

(٣٦) محمد علي سعد الله: مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٣٧) ساكز هاري: عظمة بابل، ترجمة :عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص٧٥.

(38) **Mum–Rankin, M. J. op.cit., p.280.**

(٣٩) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص٣٢٢.

(٤٠) تعرف بقاياها الآن بتلول العقر شمال آشور بنحو ميل واحد على الضفة اليسرى لنهر دجلة. يُنظر: عامر سليمان: العصر الآشوري في موسوعة العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣، ص١٣٢.

(٤١) ساكز هاري: مرجع سابق، ص٨١.

(٤٢) محمد علي سعدالله: مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٤٣) دولة قوية في جنوب شرق آسيا الصغرى ورعاياها ينتمون إلى أقوام جبلية، كانوا يشكلون أحد الموجات الهندو أوروبية. يُنظر: ساكز هاري: مرجع سابق، ص١٤٨.

(٤٤) زيباري عزيز محمد أمين والشديفات يونس محمد: مرجع سابق، ص٣١.

(٤٥) أمل ميخائيل بشور: تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وآشور لبنان، ٢٠٠٨، ص ١٥٠.

(٤٦) جورج رو: المرجع السابق، ص٤٠٥.

(٤٧) سهيل قاشا: عراق الأوائل حضارة وادي الرافدين، بيروت – لبنان، ٢٠١٢، ص ٥٦.

(٤٨) أحمد مالك القتبان: نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩١، ص ١٥٤.

(٤٩) أحمد مالك بن القتبان: مرجع سابق، ص١٥٥.

(50)Smith, S. M. A. '' The Foundation of The Assyrian Empire'', in C.A.H. vol. III, The Assyrian Empire ,Cambridge, 1965, p.7.

(٥١) زيباري عزيز محمد أمين والشديفات يونس محمد: مرجع سابق، ص٦٩.

(٥٢) عاصمة إقليمية لمملكة أورارتو، وتقع في الزاوية الشمالية الشرقية لبلاد آشور، وهى مركز عبادة إله الأورارتيين. يُنظر:المرجع نفسه، ص ٦٩.

(53)Smith, S. M. A. op.cit., p.9.

(٥٤) أحمد مالك القتبان: مرجع سابق، ص١٥٥.

(٥٥) وهي تل ابي ماريا والتي تقع إلى الغرب من نينوى بحوالي ٢٥ كم. يُنظر:

Smith, S. M. A. op.cit., p. 9.

(٥٦) زيباري عزيز محمد أمين والشديفات يونس محمد: مرجع سابق، ص٧١.

(٥٧) عبدالعزيز صالح: مصر والعراق ،ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٤، ص٧٧٨.

(٥٨) هنري س عبودي: معجم الحضارات السامية، لبنان، ١٩٨٨، ص٢٥٢.

(59)Smith, S. M. A. op.cit., p. 22.

(٦٠) أحمد مالك القتبان: مرجع سابق، ص١٧٧.

(٦١) عبدالعزيز صالح: مرجع سابق، ص ٧٨٠.

(٦٢) اختلفت روايات المؤرخين الإغريق فيما سمعوه عن هذه الفترة بقصة محورة لملكة أطلقوا عليها اسم سميراميس تحريفًا فيما يبدو للاسم الآشوري سمرمات أي محبوبة الحمام، وكانت وصية على ابنها أدد نيراري الثالث من زوجها شمش أدد الخامس، وارتبطت بها اسطورة تقول: بأن أم هذه الملكة كانت معبودة تعبد في عسقلان قرب سواحل البحر المتوسط ويرمز إليها بصورة نصفها سمكة ونصفها حمامة، ولما ولدت ابنتها على هيئة بشرية سوية تركتها للحمام يرعاها لهذا سميت بهذا الاسم، وبعد ذلك عثر عليها كبير رعاة ملك آشور فأخذها ورباها وعندما كبرت تزوجها حاكم نينوى أونيس، ولكن ملك آشور العظيم نينوس طمع فيها وأجبر زوجها على التخلي عنها وتركها، فكان هذا السبب في انتحاره فلجأت إلى حيلة لتنتقم لزوجها ولنفسها فتقربت لملك وطلبت منه أن يعهد إليها بالعرش والسلطة لمدة خمسة أيام لكي يرى كيف تحكم فقبل الملك، فاستغلت سلطانها المؤقت وأمرت بسجن الملك ثم قتله، واغتصبت العرش بعده أكثر من ٤٠ عامًا. يُنظر: رمضان عبده علي: الشرق الادنى وحضاراته الى مجئ الاسكندر الاكبر ،ج١، ط١، ٢٠٠١م ، ص٢٥٧.

(٦٣) محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الادنى القديم من أقدم العصور الى مجئ الاسكندر ،ط١، ١٩٦٨م، ص ٣٨٠.

(٦٤) أنطوان موركات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان، دمشق، ١٩٥٠، ص٢٩٧.

(٦٥) طه باقر: مرجع سابق، ص ٥٦٠.

(٦٦) عامر سليمان: العصر الاشورى فى موسوعة العراق فى التاريخ، بغداد، ١٩٨٣م، ص١٥١.

(٦٧) جورج رو: مرجع سابق، ص٤٠٩.

(٦٨) زيباري عزيز محمد أمين والشديفات يونس محمد: مرجع سابق، ص١٠٠.

(٦٩) زيباري عزيز محمد أمين والشديفات يونس محمد: مرجع سابق، ص١٠١.

(70)Saggs, H. W. F. '' The Greatness That Was Babylon, New york, 1969, p. 105.

(٧١) عامر سليمان: مرجع سابق، ص١٥٣.

(٧٢) مرجع سابق، ص١٠٤.

(٧٣) هي الجبال التي ورد ذكرها في المصادر الآشورية باسم بكيني. يُنظر: طه باقر: مرجع سابق، ص ٥٦٢.

(٧٤) جورج رو: مرجع سابق، ص٤١٣.

(٧٥) أحمد مالك القتبان: مرجع سابق، ص١٨٥.

(٧٦) طه باقر: مرجع سابق، ص ٥٦٣.

(٧٧) هنري ساغس: مرجع سابق، ص١٤٣.

(٧٨) محمود الأمين: تعليقات تاريخية على حملة سرجون الثامنة، مجلة سومر، ع٥، ج٢، بغداد، ١٩٤٩، ص٢٢٣.

(٧٩) دياكوف. و. س. كوفاليف: مرجع سابق، ص٢٦٤.

(٨٠) هاري ساكز: مرجع سابق، ص١٣٧.

(81) Wright, E. "The Eight Campaign Sargon II of Assyria 714B.C. ", in JNES, vol. 2, 1943, p.173.

(82) Lucknbill, D. D. "The Annals of Sennacherib" in, O.I.P, vol.. 11, Chicago, 1924, p.29.

(٨٣) زيباري عزيز محمد أمين والشديفات يونس محمد: مرجع سابق، ص١٢٨.

(٨٤) سهيل قاشا: مرجع سابق، ص ٦٥.

(٨٥) هاري ساكز: مرجع سابق، ص١٥١

(٨٦) هم من القبائل الهندو أوروبية، ويروي هيرودوت أن الأسكيثين قد أزاحوا الكميريين، رغم أنهما كانوا متحدين وعاشوا على النهب والسلب، واستوطن السيكثيون حول أطراف بحيرة أورميا. يُنظر: طه باقر: مرجع سابق، ص٣٩٣.

(٨٧) هاري ساكز: مرجع سابق، ص١٥٥.

(٨٨) عامر سليمان: مرجع سابق، ص١٥٩.

(89) Saggs, H. op.cit., p. 109.

(٩٠) محمد بيومي مهران: مرجع سابق، ص٤٢٨.

(٩١) إيفا كانجيك –كيرشباوم: مرجع سابق، ص ٩٣.

(٩٢) علاء قابيل: مرجع سابق، ص ١٥١.

(٩٣) محمد بيومي مهران: مرجع سابق، ص٤٣٠.

(٩٤) عبد العزيز صالح: مرجع سابق، ص٥٥٢.